

السلفية المصرية .. ومرحلة جديدة



إعداد: مركز الدين والسياسة للدراسات

www.rpcst.com

السلفية المصرية . . ومرحلة جديدة

ليست ثورة ٢٥ يناير وحدها نقطة التحول الرئيسية في علاقة التيار السلفي بالمجتمع المصري، فالسنوات الخمس الأخيرة شكلت منعطفًا هامًا في تاريخ السلفية المصرية نتيجة ظهور الفضائيات الدينية والحضور المكثف لمشايخ التيار السلفي فيها بعدما ظلت السلفية لعقود أسيرة لخطاب دعوي ضيق المحيط والتأثير لا يتعدى محيط المساجد التابعة لجمعية أنصار السنة المحمدية والجمعية الشرعية والتي غالبًا ما يكون روداها من السلفيين أنفسهم.

ففي السابق كان الإعلام يستطيع أن يقول وما يشاء ويروج لما يريد عن السلفيين ومن الصعب التحقق مما يقول الأمر الذي سيجعل الناس أكثر عرضة لتصديقه لكن مع ظهور الفضائيات الدينية والسلفية أصبح متاحًا للكثيرين ممن يسمعون صورًا مشوشة عن السلفية أن يروا ويستمعوا بأنفسهم لأطروحات أكبر وأبرز رموز هذا التيار الذين أصبحوا في كل بيت وشارع وحارة، وهو ما أقلق الجهات الأمنية كثيرًا فسارعت في نهاية عهد الرئيس محمد حسني مبارك إلى غلق الكثير من هذه القنوات والتضييق عليها، لكن التحول الأكبر والأقوى كان بطبيعة الحال عقب سقوط النظام وحالة الحرية غير المسبوقة على الساحة المصرية والتي جعلت رموز التيار السلفي نجومًا مطلوبين إعلاميًا وأصبح تواجههم عبر القنوات الإعلامية الرسمية أمرا معتادا بعكس السابق.

وعليه فلا غرابة أن يشتد الهجوم عليهم في ظل هذه المعطيات إضافة إلى تغير خطابهم السياسي واقتحامهم الخطوط الممنوعة ايدلوجيا لديهم.

السلفيون والثورة المصرية

أثارت مواقف السلفيين المتباينة من الثورة المصرية الكثير من الجدل الذي تستحق معه المزيد من التأمل والدراسة، ويمكن حصرها في أربعة مواقف رئيسية هي:

١- المؤيدين: وهم الذين شاركوا في المظاهرات وأعلنوا رأيهم بوضوح ويمثله تيار السلفية الحركية مثل الشيخ محمد عبد المقصود الذي شارك المتظاهرين في ميدان التحرير والشيخ نشأت أحمد، والشيخ فوزي السعيد.

ويمكن ضم الشيخ محمد حسان أشهر دعاة السلفية في مصر إلى هذا القسم بالرغم من تذبذب موقفه لبعض الوقت، لكن تعاطيه مع الثورة شكل صدمة كبيرة لبعض أتباعه وأقرانه من السلفيين بمدحه الشباب الثائر وتأييده لمطالبه واصفا ما يحدث بالملحمة والعمل العظيم مناشدا الشباب بالحذر من المندسين بينهم لقطف ثمره هذا العمل الذي وصفه بـ"المبارك"، سيما أنه موقفه هذا يتعارض مع مواقف سابقة منها خطبة جمعة بثتها قناة (الرحمة) الفضائية التي يشرف عليها قال فيها: لن تخرج أمتنا هذه من أزمة الرزق بالفهلوة ولا بالإضرابات المخربة التي تسفك فيها الدماء والتي تتحطم فيها المحال والسيارات، وأضاف: "أعداؤنا يريدون لبلدنا أن تتحول إلى فوضى، ووالله لو تحولت مصر إلى فوضى لن يأمن واحد منا على نفسه أو على ولده أو على ابنته، ولتتعلم الأمة مما يدور حولها من واقع مر أليم في العراق..".

٢- **المعارضين:** بطبيعة الحال يتصدر الفريق الثاني وهو (معارضى التظاهر) المنتمين للسلفية العلمية (التقليدية) والموقف الذى اتخذه سلفيو مصر متمثلا فى جماعة أنصار السنة المحمدية والتي أصدرت بيانا يقضى بتحريم التظاهر والخروج على الحاكم وحث المتظاهرين على العودة لمنازلهم، كما خرج الشيخ مصطفى العدوى ليحث المتظاهرين على العودة إلى بيوتهم عبر شاشة التلفزيون المصري، ومثله الشيخ محمود المصري أحد أبرز دعاة الفضائيات والذي ناشد الشباب عبر قناة النيل فض المظاهرات بعد الإصلاحات التي أعلن عنها الرئيس المصري قبل تنحيه.

٣- **مواقف ملتبسة:** وبين هؤلاء وهؤلاء يبرز قسم آخر لا يمكن تجاهله وهم سلفيو الإسكندرية (وهي مدرسة سلفية لها طابع خاص اشتهرت بفكرة العمل الجماعي دون قيادة تنظيمية كالإخوان المسلمون).

موقف المدرسة السلفية بالإسكندرية يمكن وصفه بالتطور مع المعطيات أو التغير التدريجي حسب تسلسل الأحداث فالبدائية كانت رفضا تاما للتظاهر وذلك قبل اندلاع ثورة الغضب المصرية بأيام عندما نشر موقع صوت السلف فتوى للمشرف العام عليه ياسر برهامي أحد أبرز رموز سلفية الإسكندرية يطالب الشباب فيها بعدم التظاهر قبل أن يتحول عقب أحداث الانفلات الأمني التي اجتاحت البلاد إلى الدعوة إلى المطالبة بحماية الممتلكات العامة والخاصة وفي مقدمتها ممتلكات المسيحيين والأجانب وتحريم الاعتداء عليها والقول بوجوب التصدي للبلطجية واللصوص، والمشاركة الميدانية في إنشاء اللجان الشعبية التي صارت المساجد مقاراً لعملها، كذلك الفتوى بتحريم الاستغلال ورفع الأسعار أثناء الثورة،

والتحرك فعلياً لإيجاد حلول عملية لمواجهة هذا الاستغلال بتأليف مجموعات لشراء الخضروات والسلع الغذائية من مصادرها وإعادة بيعها بأسعار رخيصة للأهالي. حيث جاء في البيان الأول للدعوة السلفية ما نصه: والواجب على المسلمين التعاون على منع ذلك، وحماية الممتلكات العامة والخاصة، والتحذير من التخريب والسلب والنهب والسرقا والاعتداء على الناس، وأولى الناس بذلك هم الصالحون أبناء كل حي؛ الذين يجب عليهم جميعاً التعاون والاجتماع على النهي عن هذه المنكرات ومنعها، ولندكر الناس بأن لأموال العامة ليست مباحة، بل هي أعظم حرمة من الأموال الخاصة.

فيما ناشد البيان الثاني الخطباء والدُّعَلَاءَ يحثوا الناس بكل ما هو متاح من وسائل التواصل على المحافظة على الدماء والأعراض والأموال، والتصدي للعصابات الإجرامية التي تَعِثُ في البلاد فساداً وإرهاباً وترويعاً للآمنين، والتثبت في قبول الأخبار، والتكافل والإيثار وتنفذ الجيران وحث السلفيولستلثنيات الخاصة أن تفتح أبوابها لاستقبال حالات الطوارئ وعلاجها بالمجان كما أشاد البيان بشهامة الشباب المصري ورجولته ووقفته البطولية الرائعة في حماية الطُّرقات والمباني والتصدي للمجرمين داعياً الجميع إلى التوبة والاعتصام بحبل الله.

يقول الخبير في الحركات الإسلامية الأستاذ حسام تمام: حدث كل هذا التطور في خطاب التيار السلفي وممارساته، لكن ظل بعيداً عن الدور السياسي أو المشاركة الفعلية في الثورة عبر التظاهر. ١.هـ

وهو ما يمكن أن نلمسه فعلياً من خلال قراءتنا للبيان الثالث للدعوة السلفية بالإسكندرية والذي جاء فيه ما نصه "مع يقيننا أن التغيير الحقيقي هو في إقامة دين الله في الأرض

وسياسة الدنيا به؛ إلا أن إدراكنا للواقع ومعرفتنا بأنه لا بد أن تسبق هذا خطوات هي الآن في حيز الممكن والمتاح، وليست هي كل المبرمجين والمأمول؛ وسنلخصها في الآتي: تغيير الوضع السابق على الأحداث ضرورة حتمية؛ فلا يمكن أن يستمر من أدنى بالبلاد إلى حافة الهاوية نسأل الله أن يعافينا منها- ولكن الكلام على كيفية حدوث ذلك إلى الأفضل لا إلى الأسوأ، ولا يمكن الاستمرار في دفع البلاد إلى مزيد من الفوضى، وها نحن قد رأينا كيف أدى غياب مرفق واحد -وهو الشرطة إلى أنواع المفسد والمخاوف والسلب والنهب؛ فكيف يطالب البعض باستمرار ما يؤدي إلى الفوضى، وقد أخرج المجرمون من السجون، وتسليحوا بالأسلحة المسروقة؟! فكيف إذا زاد الأمر بفراغ باقي المرفق: من التجارة الداخلية، والتموين، والتجارة الخارجية، واحتياطات البلاد من الغذاء والوقود، وغيرها؟! وكيف إذا غابت مرافق الاقتصاد والبنوك -وبخاصة البنك المركزي- والمرئيات والمعاشات والمصانع والأنشطة التجارية ولمدة وجيزة؟! كل هذه المفاصل علوؤها من التقاتل وسفك الدماء وانتهاك الحرمات سوف تكون هي النتيجة للتغيير الذي يعقبه فراغ، خاصة مع غياب البادئ للمظاهرات، وعدم توقف الأحزاب السياسية؛ فمن يدفع البلاد لمزيد من الفوضى بحجة التغيير مع كل ما ذكر سيحمل نتائج لك كمله أمام الله ووجل. -

وأضاف البيان: إننا نرجح قبول إصلاحات عاجلة لإنقاذ الموقف، على أن تكون هناك فترة انتقالية تمهيداً لانتخابات حرة حقيقية من أجل تولية الأكفاء. ١٠هـ

سلفيو الإسكندرية كانوا أكثر إيجابية من الجماعة الإسلامية فلم ينتظروا حتى تنتهي الأزمة وتظهر خيوط التغيير ليعلنوا عن موقفهم فأقاموا مؤتمراً سلفياً أثناء ثورة الشعب المصري عبروا فيه عن تأكيدهم على هوية مصر الإسلامية فيما أبدى الشيخ محمد إسماعيل المقدم أحد

أبرز دعاة الإسكندرية عدم استبشاره بالتغيير بقوله: لو البرادعي أقام دولة ليبرالية وعلمانية وحرية مش بعدها كده، كل الناس ستنال الحرية ماعدا أهل الإسلام أهل الدعوة ، لأنه أمريكي هو أو غيره، وأضاف ما نصه : لكن ما تحطوش أمل في الناس ديه أنها تتحمل مسؤوليتكم أنتم، التغيير الحقيقي ما يحدث في المساجد - تحفيظ القرآن الكريم هو ده تغيير - تصحيح العقيدة أعمق أنواع التغيير.

لكن ياسر برهامي أصدر بيانا على موقعه "صوت السلف" يوضح تصريحات المقدم في المؤتمر مؤكدا على أن البعض فهم مَن كلام الشيخ "محمد إسماعيل" في "المؤتمر السلفي" أنه يمدح الشباب الذين قاموا بالثورة وأن موقف الدعوة قد تغير إلى المشاركة في المظاهرات، ولا أدري لماذا انبرى برهامي لتوضيح كلام المقدم ونصب نفسه متحدثا رسميا باسمه، وهل لم يكن المقدم يستطيع إصدار هذا البيان أو الخروج لتوضيح ما قاله

قد يقول البعض أن هناك ضغوطا واجهها المقدم لتوضيح ما تناقلته وسائل الإعلام عنه أو أن هناك خلافا في وجهات النظر حدث بين القطبين الكبيرين في الدعوة السلفية بالإسكندرية جعل المقدم ينصاع مكرها للبرهامي صاحب النفوذ الأكبر والشخصية الأكثر كاريزما في أوساط الشباب، فحاول البرهامي في بيانه التوضيحي لكلام المقدم التأكيد على أن موقف الدعوة للعلن والموجه إلى أبنائها ومَن يوافقهم لم يتغير، وأضاف: كما أوضحناه قبل وأثناء الأحداث، ولا اعتبارات أخرى أيضا تصب في مصلحة الثورة وترشيدها لا إجهاضها، كما يزعم البعض.

ويقول الدكتور ياسر برهامي في بيانه: بينما كان فضيلة الشيخ "محمد إسماعيل" -حفظه الله- لم يهتكن أمر قد وقع بالفعل، ولم يطلب من أحد الاشتراك في المظاهرات، وكما سمع الجميع دعوتنا بعد المؤتمر للانصراف في هدوء، وهو في كلمته قد مدح الطاقات، والصفات الحسنة، والمواقف الرائعة من الشباب التي ظهرت خلال الأحداث، من: جرأة، وشجاعة، وثبات، وحرص على الكرامة.

ويضيف: الذين لم يشاركوا في المظاهرات كانوا يقومون بدور هام في حراسة الأمن وضبط الشارع عن طريق اللجان الشعبية، وكذا واجب التكافل الاجتماعي مع الفقراء الذين تضرروا بشدة من هذه الأوضاع، والتصدي للمجرمين الذين روعوا الناس وصالوا على ممتلكاتهم، وكذلك الاعادة الذين جهروا في عنفوان قوة الباطل، وهو أيضاً ما قد نبّه في كلمته أننا لا يمكن أن نُوقّع لشباب الإنترنت في المظاهرات على بياض؛ فليس من حقهم وحدهم تقرير مصير الأمة؛ بل هم جزء منها.

وقد أشار -والحديث للبرهامي عن المقدمة- كلمته إلى المأزق الذي وُضِعَ لنا فيه؛ لأن الدستور -من جهة- مُفصّل على فرد أو أفراد بأعيانهم، ومن جهة أخرى فإن البديل هو عمل مراجعة شاملة وجديدة للدستور الأمر الذي يعطي المغرضين فرصة للتحرش بالهوية الإسلامية للبلاد. ١. هـ (١).

٤- الصامتون: بخلاف هذه المواقف المعلنة أثر آخرون الصمت ولم يظهر لهم موقف معلى بالإيجاب أو السلب وعلى رأسهم الشيخ أبو إسحاق الحويني أحد أبرز دعاة السلفية.

السلفيون بعد الثورة ..

لم يكن للسلفيين يد قوية في إنجاح الثورة أو المساهمة الفاعلة فيها بل كان التشييط هي الحالة الأبرز بين كافة تياراتهم لكن عقب سقوط النظام لم يواصل السلفيون بكافة فصائلهم خمولهم فرأينا نشاطا ملحوظا ومحاولة فاعلة للاستفادة من كل كبيرة وصغيرة في ظل انهيار جهاز أمن الدولة والذي طالما عانوا من ممارساته القمعية لعقود.

حاول السلفيون تجاوز هذا الموضوع والتعاطي من المتغيرات فرأينا طرحا مختلفا عن طبيعة التصور السياسي للمرحلة الجديدة، فسارعت جماعة أنصار السنة بالتنسيق مع مجموعة من أبرز دعاة التيار السلفي إلى إنشاء ما يسمى بمجلس شورى العلماء برئاسة د / عبد الله شاكر الجنيدى رئيس جماعة أنصار السنة والمحمدية وعضوية كل من الشيخ / محمد بن حسين يعقوب والشيخ محمد حسان والشيخ د. جمال المراكبي ، والشيخ مصطفى العدوي، و الشيخ / أبو بكر الحنبلي ، و الشيخ / وحيد بن عبد السلام بالي ، خادماً ، و الشيخ / جمال عبد الرحمن مقررًا .

وأصدر مجلس شورى العلماء بيانه الأول الذي وضع خارطة طريق للسلفيين في المرحلة المقبلة أظهر نواياهم بوضوح واختصار أيضا يمكن تلخيص أهم ما ورد فيه في التالي:

١- التأكيد على أن الطريق الصحيح لتطبيق الشريعة الإسلامية هو تربية المسلمين على عقائد الإسلام وأحكامه وآدابه من خلال الوسائل الشرعية المتاحة .

٢- مناقشة المسلمين أن لا يتأخروا عن التصويت بالموافقة على التعديلات الدستورية يوم السبت الموافق ١٤ من ربيع الآخر لعام ١٤٣٢ هجريا الموافق ١٩ / ٣ / ٢٠١١ ميلادية لأن إيجابياتها أكثر من سلبياتها

٣- أنه لا مانع شرعي من المشاركات السياسية في مجلس الشعب والشورى والمحليات لأنها وسيلة من وسائل التمكين للدعوة ونشرها بين فئات المجتمع .

٤- دعا البيان العلماء والدعاة أن لا يترشحوا بأنفسهم حتى لا ينشغلوا عن الدعوة إلى الله وإنما يقدمون من يتبني قضايا الإسلام ومصلحة الأمة .

٥- طالب البيان المسلمين أن يصوتوا في انتخابات الرئاسة لمن يرونه أكثر تبنياً لقضايا الشريعة الإسلامية ومصالح الأمة .

٦- التحذير من المساس بالمادة الثانية من الدستور بالتغيير أو التبديل في أي صياغة مقبلة للدستور.

من جانبها سارعت الدعوة السلفية في الإسكندرية التي لم يكن لأي من روزها تمثيل في هذا المجلس إلى إصدار بيان مقتضب تعلن فيه أنها بعد التشاور والمحاورة في ضوء المتغيرات الجديدة قد قررت المشاركة الإيجابية في العملية السياسية، وأنها بصدد تحديد الخيار المناسب لصورة هذه المشاركة، قبل أن تعون لتعلن عن تأسيسها حزب سياسي بمرجعية إسلامية وهو (حزب النور) على أن تكون قيادته مستقلة عن القيادات الشرعية كما أعلنت عن توسعها في إنشاء الجمعيات الخيرية.

وأعلنت مجموعة أخرى من السلفيين إنشاء حزب سياسي باسم (الفضيلة) يرأسه الدكتور عادل عبد المقصود عفيفي يسعى من خلاله لتحقيق العدالة والمساواة بين البشر وإعادة الصدارة لمصر في مختلف الميادين بما يتفق مع مبادئ الشريعة الإسلامية.

براءة (السلفيين) من التهم

أثارت وسائل الإعلام المصرية حملات شرسة ضد التيار السلفي تمثلت في إبراز العديد من القضايا والتهم المثيرة التي تثير المخاوف والفرع من هذا التيار وتمثلت في هدم القبور والأضرحة التي يقدسها الصوفيون في بعض المحافظات وقطع أذن قبطي وغيرها من الحوادث التي حاول الإعلام من خلالها تشويه السلفيين والتغيير منهم، وبرغم نفي رموز التيار السلفي علاقتهم بمثل هذه الحوادث وإعلانهم الصريح إدانتهم لها استمر الكثير في ترديد مثل هذه الأمور والترويج لها فيما أكد البعض أنها مجرد دسائس تهدف لزرع الفتنة من فلول جهاز أمن الدولة والحزب الوطني المنحل، وهو ما أكدته أحكام القضاء.

فواقعة قطع أذن القبطي كانت فردية اشترك فيها آخرون بخلاف الشخص الذي قيل إنه سلفي لكن الإعلام أصر على تحويل الواقع والنفخ فيها، أما فيما يتعلق بهدم الأضرحة، فقد كشفت النيابة أن هدم الأضرحة ببعض المساجد مجرد عمل تخريبي من مجموعة بلطجية ليس لهم أى انتماءات دينية أو سياسية ولا علاقة لهم بالسلفيين، ولم يتم القبض على أي منهم.

وأجرت النيابة العامة معاينة لأضرحة المساجد التي تم هدمها بمنطقة قليوب، وهى مساجد "سيدي عبد الرحمن" و"سيدي يوسف" و"سيدي عبد الله شحاتة" و"سيدي عبد المتعال" و"سيدي الرداد" إضافة إلى ٤ أضرحة أخرى.

وتبين للنيابة من المعاينة التى أجراها شريف عبد الله وكيل النيابة وجود كسر فى الأضرحة المصنوعة من الأخشاب وبعض الأعمدة التى تحيط بها ولا يوجد نبش أو رفات لأن تلك الأضرحة عبارة عن رمز فقط للقبور، وفق ما أودته جريدة اليوم السابع.

وأوضح مصدر قضائي في قليبوب أنه تقرر حفظ البلاغات بدم الأضرحة ضد مجهول، لأنه لا يوجد حتى الآن أي متهمين في القضية ومعظم البلاغات التي يقدمها الأهالي لا يهتمون أحدا فيها، وإنما يقولون إننا سمعنا أن السلفيين هم وراء هدم الأضرحة.

ويرى مراقبون أن هذا التطور الخطير يميظ اللثام عن حقيقة مؤامرة تستهدف النيل من سمعة التيار السلفي لاسيما بعد أن ثبت خلال الفترة الأخيرة مدى القبول الجماهيري واسع النطاق الذي يتمتع به والذي يتجلى من خلال الحضور الالاف لرموز السلفيين والإقبال على المؤتمرات التي يعقدونها.

وبحسب تقارير إعلامية فقد اعترف عدد من المحررين الصحفيين في الصحف القومية والخاصة أنهم تلقوا تعليمات مشددة من رؤسائهم باختلاق بعض القصص الوهمية التي تسيء إلى العلماء والدعاة السلفيين والإخوان عن طريق وصفهم بالتطرف، والشروع في تطبيق الحدود، وتصيد الأخطاء لهم وتحويلها، بهدف تفعيل حملة صحفية كبيرة لتشويه صورتهم.

وقال أحد الصحفيين الذين يعملون بجريدة أسبوعية لها موقع شهير على الانترنت، إنه تلقى أوامر مباشرة من رئيس تحريره بافتعال أخبار ملفقة تسيء للجماعات السلفية والإخوان، وكشف أن "رئيس تحريره مهتم جدا بإشاعة هذه الأخبار وأنه اجتمع بعدد من المحررين لعمل "أجندة عمل" يقوم من خلالها بشن هجوم على الإسلاميين باختلاق بعض القصص الوهمية والأخبار والمقالات التي تثير الفزع من هذه الجماعات في الشارع.(٢)

السلفيون والفتنة الطائفية .. وتهديدات الزغبى

في الوقت الذي ساهم فيه السلفيون في إخماد الفتنة الطائفية واحتواء أحداث كنيسة أطفح بزعمامة الشيخ محمد حسان ومجموعة كبيرة من رموز السلفية، ظهرت تصريحات متهورة من قبل أحد الدعاة البارزين وهو الشيخ محمد عبد الملك الزغبى الذي قاد مظاهرات للمطالبة بالإفراج عن كاميليا شحاتة زوجة الكاهن التي يعتقد أن الكنيسة اختطفتها وتحتجزها بعد إشهار إسلامها، وهدد الزغبى في تسجيل مصور نشر على يوتيوب بشن هجمات سلفية على الأديرة في حال عدم حل قضية كاميليا شحاتة زوجة كاهن ديرمواس، متهماً الكنيسة باختطافها لمنعها من إشهار إسلامها.

وأكد الزغبى الذي كان في وسط تجمع من الشباب السلفي أن وفداً من السلفيين التقى أعضاء من المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وسلم لهم جميع المستندات التي تثبت إدانة الطرف الآخر - أى الكنيسة - وإجرام النظام الفاسد واعتقال أخواتنا في الأديرة، مشيراً إلى أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة وعدهم بالبدء فوراً في الإجراءات.

وقال الزغبى: "أقسم بالله.. أقسم بالله.. إن لم تحل في أيام لأعلن في الفضائيات وفي المساجد خروجي معكم بشباب مصر بالإجماع."

واستطرد: "لن يكفيننا التحريك ولن يكفيننا هذا المكان، بل أقسم بالله إن لم تحل قطعاً لنتجه إلى الأديرة لإخراجها بإذن الله" (٣).

عقب هذا التهديد بأيام وقعت فتنة إمبابة التي راح ضحيتها العشرات ما بين قتلى وجرحى بعد معلومة مغلوطة عن احتجاز إحدى الكنائس لفتاة أسلمت تدعى عبير وهو ما وضع التيار السلفي في حرج جديد وموقف لا يحسد عليه.

السلفيون والأزهر

شن شيخ الأزهر الشريف الدكتور أحمد الطيب هجوما عنيفا على السلفيين واصفا السلفيين الجدد بـ "غلاة الحنابلة"، وذلك في حديث تلفزيوني لبرنامج "واحد من الناس" بثته فضائية "دريم ٢"، موضحا أن جمهور المسلمين لم يكونوا علي هذا المذهب.

وأوضح أن السلف أو السلفية ليس مذهب أو مدرسة، كما أن كلمة السلف لم ترد في القرآن إلا في موضع واحد وجاء أيضا في موضع الذم.

لكن شيخ الأزهر في إطار مبادرته التي أطلقها للحوار مع الحركات الإسلامية دعا مجموعة قيادات التيار السلفي للقاءه في مشيخة الأزهر في واقعة للمرة الأولى من نوعها وضم الوفد الشيخ محمد حسان وأبو إسحاق الحويني ومحمد حسين يعقوب وعبد المنعم الشحات المتحدث الرسمي باسم الدعوة السلفية ومحمود عبدالمقصود، من جهتهم رحب قادة السلفيين بذلك اللقاء مؤكدين أنه يساعد علي تقريب المفاهيم بين الجانبين والتنسيق بين المواقف السلفية وبين الأزهر لشريف الذي يعد رائداً للعمل والعلم الديني في العالم والمرجعية التي لا يختلف حولها أحد وسوف يكون اللقاء بمثابة مبايعة من رموز السلفية للإمام الأكبر بما

يفضح زيف ادعاءات الوقعة بين السلفيين وبين الأزهر، في الوقت الذي قاد فيه الشيخ محمد الزغبى وسلفيون آخرون مظاهرة مناهضة لشيخ الأزهر تطالبه بالتنحي عن مهامه. وكان لمفتي الديار المصرية الدكتور علي جمعة نصيبا آخر من هجوم السلفيين ومظاهرتهم الغاضبة بسبب موقفه من النقاب، قبل أن يصدر كتابا في مطلع يونيو الحالي بعنوان المتشددون يهاجم فيه الفكر السلفي في مصر بشكل صارخ.

غزوة الصناديق .. وجواري أبو إسحاق

أثارت بعض المواقف الفردية لرموز السلفية في مصر جدلا صاخبا ومادة خصبة لوسائل الإعلام المتربصة وغير المتربصة على حد سواء ولعل أبرز هذه المواقف ما عرف بـ(غزوة الصناديق) حيث وصف الشيخ محمد حسين يعقوب أحد أشهر دعاة السلفية الاستفتاء على التعديلات الدستورية بـ"غزوة الصناديق"، مؤكدا بأن نتيجة الاستفتاء التي انحازت للتصويت بنعم بنسبة ٧٧.٢% تؤكد بأن "الدين هيدخل في كل حاجة".

وقال يعقوب في محاضرة بمسجد الهدى بإمبابة عقب الاستفتاء - ونشر الموقع الرسمي له ونشطاء على موقع اليوتيوب مقطع فيديو منها- "أنهم- يقصد الداعين للتصويت بلا- كان مخوفينا.. خلاص الدين هيدخل في كل حاجة.. وإحنا بنقول أيوه الدين هيدخل في كل حاجة مش انتوا اللي قولتوا الصناديق.. خلاص الصناديق قالت.. والشعب بيقول نعم للدين".

وافتح يعقوب محاضرتة بقوله "بلغتني أخبار سارة بنعم" ثم عقب قائلا "الله أكبر" مضيفا "كانت هذه غزوة اسمها غزوة الصناديق.. كان السلف يقولون لأهل البدع بينا وبينكم

الجنائز النهاردة بينا وبينكم الصناديق.. وقالت الصناديق للدين نعم فلنكبر تكبيرة العيد"، وردد قائلا "الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله.. الله أكبر الله أكبر والله الحمد" وردد وراءه الحضور المتأفف.

ودعا يعقوب من يقولون بأن البلد لم تعد بلدهم بعد الاستفتاء بأن يسافروا إلى أمريكا أو كندا حيث يحملون تأشيراتهم، مضيفاً: "ديمقراطيتكوا بتقول نعم.. الشعب بيقول عاوز دين.. إديله دين.. إحنا بتوع الدين."

وتحدث يعقوب عن الذين قالوا لا في الاستفتاء بأنه "مش زعلان منهم" مستدركا "بس هما عرفوا قيمتهم وعرفوا قيمة الدين"، لكن يعقوب عاد بعد الجدل الكبير والاستنكار لتصريحاته المثيرة ليؤكد أنه كان يمزح ليس إلا.

أما الموقف الثاني: فكان بسبب محاضرة قديمة تم استحضارها على موقع "الفيس بوك" للشيخ أبو إسحاق الحويني -أحد أقطاب السلفية- حول حل الأزمة الاقتصادية بمصر عن طريق "الرق" و"الجواري"، والعودة إلى الجهاد، عاصفة من الانتقادات اللاذعة التي اتهمته بمحاولة أخذ المجتمع إلى عصر الجواري مرة أخرى.

وفيما أثار أنصار الشيخ الحويني على موقع "الفيس بوك" الشكوك حول المحاضرة، أقر الحويني بما جاء بها، واعتبر مصدر سلفي أن استحضارها في الوقت الجاري جزء من حرب تشنها جهات مشبوهة على الحركة السلفية.

وقال الحويني في محاضراته المثيرة للجدل عن الجهاد كونه مخرجاً للأزمة الاقتصادية في مصر: "هو الفقر اللي إحنا فيه ده مش بسبب تركنا للجهاد؟، مش لو كنا كل سنة عمالين نغزو مرة ولا اثنين ولا ثلاثة مش كان هيسلم ناس كتير في الأرض"، معتبراً أن الجهاد وما يعقبه من حصول المجاهدين على المغنم والسبايا الحل للخروج من الأزمة. وأضاف: "كل واحد كان هيرجع من الغزوة جايب معاه "يقصد أسرى" ثلاث أربع أشحطة وثلاث أربع "نسوان" وثلاث أربع ولاد، اضرب كل رأس في ستميت درهم ولا ستميت دينار يطلع بمالية كويسة"، معدداً المزايا الاقتصادية للجهاد.

ووفقاً لتقرير نشره موقع mbc.net فضل الشيخ طريقة الغزو والغنائم المالية والبشرية على التجارة والصناعة وعقد الصفقات قائلا: "ولو رايح علشان تعمل صفقة عمرك ما هتعمل الأموال دي".

وأكد الحويني أن من يهاجمون هذا الطرح يستحقون القتال؛ ليلاقوا مصير من يتم أسره بعد الغزوات نفسه، قائلا: "واللى يرفض هذه الدعوة نقاتله، ونخدوا أسير وناخد أموالهم ونساءهم وكل دي عبارة عن فلوس".

وأبدى الحويني تعجبه من الاتهامات التي توجه للإسلام بإباحة الرق، وأشار إلى أن الإسلام يحض على عتق الرقاب، وأن هناك كفارات مرهونة بعتق الرقاب، كما أكد أن دولة مثل أمريكا تحتل وتسترق دولاً بأكملها، وطالب في الوقت ذاته ألا يأخذ أحد كلامه من خصومه.

الموقف من الديمقراطية

الأيدلوجية السلفية بشكل عام ترى أن العملية الديمقراطية [كفر بالله تعالى] لأنها تجعل له شريك في التشريع ومثاهم على ذلك أننا إذا أردنا تطبيق الشريعة أو إقامة الحدود فإن ذلك في النظام الديمقراطي يتطلب التصويت البرلماني حتى يتم إقراره إذ أن الديمقراطية هي حكم الأغلبية من خلال ممثلي الشعب الذين اختارهم لتمثيله في السلطة التشريعية (البرلمان)، وهذه الجزئية تحديدا كانت منشأ خلاف جوهري مع جماعة الإخوان المسلمين التي أعلن العديد من قادتها قبولهم بالديمقراطية حتى على هذه الصورة ليقينهم أن الشعب في مصر مسلم ولن يقبل سوى بتطبيق الشريعة وهو ما لم يقبله السلفيين بأي حال من الأحوال.

وعليه إذا كانت الديمقراطية كفر بهذه الصورة فإن ما يترتب عليها من انتخابات تشريعية (برلمانية) وغيرها أمور محرمة، لا يجوز المشاركة فيها، والعبرة لمن يجيز هو طغيان المصالح على المفسد في حالة الامتناع عن الانخراط فيها، وهو ما جعل البعض يتحدث عن أن السبب وراء العزوف عن المشاركة السلفية في الماضي هو التزوير والتضييق الأمني، لكن الحافز الأكبر للقائلين بالمشاركة برأيي هو الرغبة في تشكيل أغلبية برلمانية وجماعات ضغط مع التيارات الإسلامية الأخرى كالإخوان والجماعة الإسلامية والجهاد وحزب الوسط للتصدي للمشروع العلماني والقوانين المخالفة للشريعة وهو أمر قد يصل للوجوب إذا كان تركه سبيل لمرور آخرين سيساهمون في علمنة البلاد وتنحية الشريعة الإسلامية.

السلفية المصرية كما غيرها في العالم أطراف متعددة وكما رأينا عدة مواقف متباينة إزاء الثورة وحكم الخروج في المظاهرات وتكييف ذلك من الناحية الفقهية هل هو خروج محرم على الحاكم أم لا فإن نفس هذه الانقسامات ستتكرر في مسائل ونوازل متعددة ولن تتفق الأطراف السلفية فيما بينها وإن اتفقت في أصول كثيرة.

وعليه يمكن تلخيص مواقف التيار السلفي من الممارسة الديمقراطية في الوقت الحالي كما يلي:

- ١ - فريق مؤيد ويسعى للانصهار العمل السياسي ويغلب المصالح على المفاصد ويمثله الدعوة السلفية في الإسكندرية وفروعها في المحافظات وأسست حزب النور بمرجعية دينية ، وكذلك التيار السلفي [الحركي] بالقاهرة ورموزه محمد عبد المقصود ونشأت أحمد وفوزي السعيد ويدعم تأسيس حزب سلفي آخر [الفضيلة] ولا يتولى أيضا قيادته وإنما يكتفي بالمرجعية.
- ٢ - وقسم آخر يحاول مسك العصا من المنتصف فلا يرفض ولا يشارك بنفسه وقد يوجه البعض بالمشاركة بحسب ما تتضح الأمور وتبناه جماعة أنصار السنة الحمديدية والشيخ محمد حسان وهم الذين أسسوا مجلس شورى العلماء لهذا الغرض.
- ٣ - الصامتون: يبرز الشيخ أبو إسحاق الحويني.
- ٤ - الممانعون: تيار المدخلية وطيف كبير من التيار السلفي التقليدي لم يعلن عن موقفه بشكل صريح وعلي حتى الآن (٤) .

فراعة الوهابية والمنهج المستورد

يلعب المعارضون والمتخوفون من الفكر السلفي في مصر على وتر ما يسمى بـ(المنهج المستورد) و(الوهابية السعودية) فهم يريدون إسقاط السلفية أو كما يسمونها (الوهابية) من منطلق أنها منهج متشدد دخيل مصطنع لا يمثل الإسلام الحقيقي، ولم تعرفه مصر سوى عن طريق بضع رجال ذهبوا للسعودية وأغرقتهم أموال النفط فعادوا لنشر هذا المذهب الجديد.

وربما ساهمت الخلفية التاريخية بشكل مباشر في ذلك وذلك نظرا لمشاركة مصر عبر واليها العثماني محمد علي باشا في إسقاط الدولة السعودية الأولى التي قامت على التحالف مع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث قاد نجله إبراهيم باشا حمله إلى وسط الجزيرة العربية استطاعت الوصول إلى الدرعية عاصمة الدولة واسقاط حكم آل سعود.

وكانت بداية الحملة عندما عين محمد علي باشا ابنه إبراهيم باشا قائدا للحملة المصرية ضد آل سعود والتي جرت بين 1816م و 1819م، خاض خلالها معارك ضارية في نجد خصوصا في الرس و شقراء و ضرماء و الدرعية أسفرت عن احتلال الدرعية عاصمة الدولة السعودية، وحصول إبراهيم باشا على مكافأة بتعيينه والياً على مكة.

أيضا صعود التيار السلفي وتهميش دور الأزهر كان عاملا رئيسيا في الهجوم على السلفيين ومحاربتهم سيما بعد إحساس الكثير من علماء الأزهر بغياب دورهم مقارنة بأقرانهم السلفيين الذين لا ينتسبون لتلك المؤسسة الدينية العريقة، ومما يعزز فكرة استيراد المنهج السلفي من

الخارج حرص مشايخ السلفية على ارتداء الزي الشعبي السعودي المتمثل في (الغتر) أو (الشماع) مما يوحي لدى البعض أن هذا المنهج وافد من الخارج كزي أصحابه.

والحقيقة أن السلفية لها جذور قديمة في مصر المعاصرة، كان على رأس الذين حملوا تلك الراية في وقت مبكر الشيخ محمد رشيد رضا (١٨٦٥-١٩٣٥) وهو أحد رواد الإصلاح الذين ظهروا مطلع القرن الرابع عشر الهجري، وكذلك صاحب المطبعة السلفية، الدمشقي الأصل محب الدين الخطيب (١٨٨٦-١٩٦٩) ومن بين رواد السلفية الأوائل أيضا المحدث الشيخ أحمد شاهر (١٨٩٢-١٩٥٨).

ولم يكن في هذا الوقت قد حدث احتكاك مباشر بين المدرسة السلفية المصرية ونظيرتها السعودية وحتى عندما أسس الشيخ محمد حامد الفقي جماعة أنصار السنة المحمدية في عام ١٩٢٦م لم يكن قد ذهب إلى نجد أو التقى باتباع بن عبد الوهاب أو حتى وصلت كتبهم إلى مصر ولم تكن الدولة السعودية الحديثة قد أسست ولم يكن اكتشاف النفط بعد حتى يحصل على عقد عمل هناك أو يقوم السعوديين بتمويله.

ولذا كان دفاع الشيخ رشيد رضا عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية وقت اشتد فيه الهجوم عليه في ظل حداثة عهد المصريين بالحملة التي قادها إبراهيم باشا بن محمد علي للقضاء على الدعوة الوهابية ، كان من منطلق التوافق الفكري والأصل الواحد الذي ينتميان إليه مما يعزز الرأي القائل بأن الشيخ بن عبد الوهاب لم يأت بجديد في الفكر السلفي وإنما قام بدعوة تهدف إلى نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة الخالية من البدع والشوائب .

يقول الأستاذ علي عبد العال الصحفي -المختص في السلفية-: نشر رضا عددا من المقالات في صحيفة "الأهرام" ومجلة "المنار" جمعها في كتابه "الوهابيون والحجاز"، وفي مقدمة الكتاب يعرف رشيد رضا محمد بن عبد الوهاب وتلامذته بأنهم: "سنيون متمسكون بمذهب السلف في العقائد، وبمذهب الإمام أحمد بن حنبل في الفروع، وأنهم أشد شعوب المسلمين في هذا العصر إتباعاً، وأبعدهم عن الابتداع والركاب المعاصي". ثم يذكر المناوئين لهم بالقول: "إنما أرادوا أن يَسْلمُوا أهل نجد مثل هذا الدفاع عن أنفسهم فسلبوهم اسم الحنابلة وسمَّوهم (الوهابية)، وإلا فليأتوا بمسألة واحدة مما عليه جمهور أهل نجد لا أصل لها في الكتاب والسنة ولا في كتب مذهب الإمام أحمد بن حنبل." ١. هـ (٥)

وهاية أم ألبانية

وثمة حقيقة أخرى لا يجب إغفالها وهي أن السلفية السائدة حالياً في مصر في مجملها (ألبانية) متأثرة بمحدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني وهو ما أوضحت ثورة ٢٥ يناير، وذلك أن العلاقة بولي الأمر في الفكر الوهابي تختلف عن سائر التيارات السلفية الأخرى التي تتفق كلها على وجوب السمع والطاعة وتحرم الخروج على الحاكم بكافة صوره وأشكاله لكن الوهابية تتحاشى حتى التعرض لانتقاد سياسات الحاكم على الملأ ويمكن عزو ذلك لطبيعة التحالف السياسي التي قامت عليه الدولة مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ففكرة الاعتراض على ولي الأمر على الملأ معدومة فدائماً المؤسسة الدينية الرسمية على وفاق مع الحكومة ومستندتها في ذلك مراعاة المصالح والمفاسد، وأن المملكة تطبق الشريعة الإسلامية وللحاكم فيها بيعة شرعية، ناهيك عن منع النظام للتعددية السياسية أو إنشاء الأحزاب أو التظاهر وهو ما تراه المؤسسة الدينية حقاً أصيلاً للحكام ومعارضته خروج محرم على ولي الأمر، وأن الطريقة الوحيدة الصحيحة هي النصيح السري، ولذلك طيلة عقود طويلة لم تسجل أي معارضة علنية سوى واقعة انتقاد عضو هيئة كبار العلماء الشيخ سعد

الشري للاختلاط بين الجنسين في جامعة (كاوست) على الهواء مباشرة في قناة فضائية وهو الأمر الذي تسبب في إقالته بعدها بأيام.

ولقد رأينا محاولات على استحياء من قبل بعض الدعاة السلفيين لتطبيق هذا المنهج في مصر إبان انطلاق الثورة المصرية وقبلها عندما حاول المعارض محمد البرادعي إحداث تغيير سياسي في مصر والتصدي لمشروع التوريث الرئاسي ومن ذلك ما قام به رئيس جماعة أنصار السنة السابق بدمهور الشيخ محمود لطفي عامر بإصداره فتوى تحذر دم البرادعي لدعوته لعصيان مدني بوصفه خارجا على ولي الأمر الواجب طاعته تبعها فتوى مشابهاة في حق رئيس اتحاد علماء المسلمين الشيخ يوسف القرضاوي وقبلهما فتوى تجيز التوريث لنجل الرئيس. وعلى نفس المنوال أتت فتاوى وتصريحات مثيرة للشيخ أسامة القوصي الذي ظل طيلة أحداث الثورة يدعو للرئيس مبارك في دروسه العلمية وعلى المنابر، وحتى بعض نجاح الثورة وإسقاط الرئيس وبيان فساد النظام السابق للجميع ظل الشيخ محمود عامر يعلن رفضه للثورة ومعارضته لها وثباته على موقفه.

أما السلفية الألبانية وهي السائدة في مصر حاليا فهي ذات أبعاد سياسية ضاربة بأطنابها حتى الجذور، بحسب الباحث السعودي يوسف الديني حيث يقول: لقد كانت دعوة الألباني إذن ذات أبعاد سياسية ضاربة بأطنابها حتى الجذور في خيام السلفية المعاصرة، وإن كانت تقول إنها لا تمارس العمل السياسي، فالممارسة غير الرؤية السياسية كما هو معلوم، ولعل تأمل مواقف الألباني وفتاواه في الأحداث السياسية يؤكد طغيان تلك الرؤية الإحيائية وشمولها".

ويقول في موضع آخر: "لكن التغيير وفق الرؤية الألبانية لا ينطلق من الهرم السياسي بل يتم بشكل تدريجي عبر تغيير "القاعدة الشعبية" وتصورها وتمثلها للإسلام السلفي... ويضيف: يرى الألباني أن الأولوية لتغيير واقع المسلمين تأتي من تمثل شعار "التصفية والتربية" .. إلى أن

قال: ومن هنا يؤكد الألباني أن دعوته ليست سياسية، وعبارته الأثيرية هي: "من السياسة اليوم ترك السياسة" مع أن التخلي عن الشعارات السياسية كموقف نقدي لجماعات الإسلام السياسي، التي عرفها الألباني جيداً وفي مقدمتها جماعة الإخوان وهو موقف سياسي بامتياز لأنه يسعى إلى التغيير عبر البناء التحتي، وهو القاعدة المكونة للرأي العام، فالألباني يؤكد أيضاً في سياقات أخرى أن السياسة جزء مهم من الإسلام، لكن الاشتغال بالسياسة قبل التصفية والتربية يعطي نتائج كارثية، وهو يضع نصب عينيه مسألة الموازنات بين القوة والضعف" ١. هـ.

وإذا ما تأملنا واقع السلفية في مصر في العهد السابق وجدناها لم تخرج في الغالب عن رؤية الألباني المتمثلة في الاتجاه إلى الدعوة ونشر العقيدة الإسلامية ونبد البدع والخرافات ومثلت جماعة أنصار السنة المحمدية والجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب السنة هذا الاتجاه بوضوح، فيما تميز مشايخ الدعوة السلفية والتي تتخذ من الإسكندرية مقراً لها بالتغلغل في الواقع السياسي بالنقد والتحليل والدراسة ويظهر ذلك من كتابات الشيخ عبد المنعم الشحات المتحدث الرسمي لها حالياً قبل الثورة وكذلك محاضرات الشيخ ياسر برهامي وفتاواه الكثيرة ومعه الشيخ محمد إسماعيل المقدم، لكن المشروع السياسي ظل مؤجلاً للأولويات السابقة لعدم تهيئة المناخ لممارسة هذا الحق لا لتحريم المشاركة بشكل قاطع ودائم كما يظن البعض، وهذا لا يتنافى مع رفض بعض تلك التيارات ورموزها المظاهرات لأن ذلك عائد من خشيتهم على حدو مفاسد أكثر من الحاصلة فعلاً كما في النموذج الليبي اليوم.

خلاصة القول،، إن ربط السلفية المصرية بالوهابية خطأ فادح، وأن الهجوم على السلفية من جهة انتهازيها السياسية يدل على قصور وجهل واضح في فهم ودراسة هذا التيار(٦).

(١) الإسلاميون والثورة المصرية .. بين التأييد والتحريم والصمت، مركز الدين والسياسة للدراسات،

<http://www.rpcst.com/news.php?action=show&id=2001>

(٢) النيابة المصرية تبرئ السلفيين من هدم الأضرحة، موقع مركز الدين والسياسة للدراسات

<http://www.rpcst.com/news.php?action=show&id=2427>

(٣) <http://www.rpcst.com/news.php?action=show&id=2574>

(٤) هذا الجزء مستفاد من: السلفية المصرية .. بين الوهابية والألبانية [موقع مركز الدين والسياسة للدراسات]

<http://www.rpcst.com/news.php?action=show&id=2942>

(٥) المصدر السابق.

(٦) السلفيون والديمقراطية .. نظام كفري يجوز استخدامه، مركز الدين والسياسة للدراسات

<http://www.rpcst.com/news.php?action=show&id=3075>